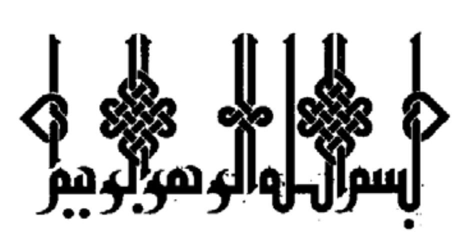
تساؤلات وتحديات

على طريق الدعوة

أبو الحسن علي الندوي


تساؤلات وتحديات
على طريق الدعوة


بسم الله الرحمن الرحيم

١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م

دار الكلمة للنشر والتوزيع - مصر - المنصورة

٣٨ ش الثورة (السكة الجديدة) ت ، ف: ٣٤٣١١٥ ص. ب: ١٦٧

بسم الله الرحمن الرحيم

بين يدى الرسالة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الأنبياء وإمام المرسلين محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعد فهذه كلمة قيمة فى موضوع الدعوة والفكر الإسلامى ، ارتجلها سماحة العلامة الشيخ أبى الحسن على الحسنى الندوى ، بمناسبة افتتاح العام الجديد للمعهد العالى للدعوة والفكر الإسلامى بجامعة ندوة العلماء ، وذلك فى ١١ / محرم ١٤١٣ هـ (١٣ / ١٩٩٢/٧) .

وقد حضر الكلمة واستمع إليها نخبة وجيهة من طلاب دار العلوم وأساتذتها ، وخاصة الطلاب الوافدون الذين يدرسون فى مختلف الكليات ومراحل التعليم بالجامعة ، ووجه سماحته خطابه نحوهم بوجه خاص .

لقد دعا سماحته فى هذه الكلمة ، العاملين فى مجال الدعوة والفكر الإسلامى بأسلوبه الواضح ، إلى التركيز على جانب حاسم يتولى توجيه الأمة إلى وجهتها الصحيحة من العلم والإيمان ، ومن السلوك والشريعة ، ويثير فيها الشعور الكامل بالمسئولية الدقيقة الملقاة على عواتقها ، والبحث عن الوسائل التى تساندها فى النهوض بها ، إنه أشار إلى الفجوات والثغرات التى تحدث فى حياة الأمم والشعوب ، مهما بلغت من العلم والدين والصلاح والفضائل الخلقية مكانًا ساميًا ، ومهما قطعت شأوًا بعيدًا فى مجال المعرفة والحضارة ، غير أنه لا يمكن الدعاة والعاملين فى مجال الفكر الإسلامى أن يغفلوا هذه الفجوات والثغرات دون أن يفكروا فى الطرق التى تعالج ملئها ، وبتعبير أصح : تأخذ العدة الكاملة لردمها .

كما أن هناك تساؤلات وتشككات قد تبلغ إلى

حد التحديات المنوعة ، وذلك أمر طبيعى فى حياة كل أمة وفى تاريخ كل ديانة فى كل عصر ومصر ، وهى تتطلب منا أن نقابلها بهدوء ، ونفكر فى الإجابة عنها بصراحة ووضوح ، وكذلك يجب على الداعية أن يستقبل كل معارضة وتناقض ، بعقل واع وصبر واسع ، وحكمة بالغة ، ونظرة ثاقبة .

هذه الكلمة القيمة هى فى الواقع حاجة كل داعية ، وكل عامل للإسلام ، يجب أن يتناولها الدعاة والعاملون فى مجال الدعوة والفكر الإسلامى بدراسة واعية عميقة ، حتى يكونوا على بينة من أمرهم ويتسنى لهم السير فى هذا المجال على وجه البصيرة والاقتناع الكامل .

وصلى الله تعالى على خير خلقه محمد وعلى آله وصحبه وبارك وسلم .

٣ / ٢ / ١٤١٣ هـ — **سعيد الأعظمى**

٣ / ٨ / ١٩٩٢ م — رئيس تحرير مجلة « البعث الإسلامى »

بسم الله الرحمن الرحيم

الحاجة إلى التركيز على جانب حاسم في مجال الدعوة والإصلاح

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ وبعد ! .

فأحمد الله تعالى على هذا اللقاء الذى جاء فى أوانه ومكانه ، وأستطيع أن أقول لكم إنه إن تأخر عن أوانه فقد جاء فى مكانه ، ولا يزال فى مكانه ، واعتبره لقاءً أبويًا أخويًا ، مدرسيًا عائليًا ، توجيهيًا دعويًا ، فى وقت واحد ، إنه كان من الطبيعى ، ومن المعقول بل من الواجب أن تتكرر هذه اللقاءات وإن طالت أو قصرت ، وإن اختلفت أمكنتها وألسنتها ، فإن هذا الموضوع الذى سألقى بعض الأضواء عليه ، إنه هو العمود الفقرى فى النظام التعليمى ، والتربوى الدعوى ، الذى تعيشون فيه،

وإن فى إمكانه أن يثير فيكم بعض الاهتمام بمعرفة واجبكم ، وما يستقبلكم إذا عدتم ـ بمشيئة الله وكرامته ـ إلى بلادكم .

ما هى التحديات التى تواجهونها ؟ ما هى العراقيل ؟ ما هى المشاكل ؟ ما هى العقد النفسية السياسية التى تبتلون بها ؟ كان من الواجب أن يكون عندكم بعض تخمين أو بعض تقدير للوضع الاجتماعى ، الدينى والسياسى ، الذى ينتظركم ، ولابد لكم أن تواجهوه ، وأحمد الله تعالى على أنه أتاح هذه الفرصة الكريمة للجلوس معكم والحديث إليكم .

إخوانى : إنكم تعرفون أن الدعوة هى رسالة الأنبياء عليهم السلام جميعًا من أولهم إلى آخرهم، وأن الدعوة هى رسالة الأنبياء ووظيفة خلفائهم، بل تعتبر الدعوة نفس الرسالة ونطقها ، إذا تنفست كانت الدعوة ، وإذا نطقت كانت الدعوة ، وإذا

سارت كانت الدعوة ، وهى دعوة معينة صريحة مكشوفة ، متفق عليها، لا جدال فيها ، هى الدعوة إلى الله تعالى ، الدعوة إلى التوحيد الخالص ، والإيمان بالله والإيمان بالرسل عامة ، وبالرسول الخاتم خاصة والإيمان باليوم الآخر ، والدعوة إلى الفضائل والدعوة إلى إنقاذ الإنسانية من التردى فى هوة الضلال والهلاك ، فهذه الدعوة متصلة وستظل متصلة إلى أن يرث الله هذه الأرض ومن عليها ، وهى لكل عمل إسلامى صعيد وأرضية يقوم عليها، وهى أساسية ، وهى المبتدأ والمنتهى ، وهذا ما لاشك فيه ، ومازالت هذه الدعوة باقية مستمرة نشيطة مهما تنوع الدعاة فى عرضها واختلفوا فى طريقها .

ولكنى أريد أن أشير فى ضوء دراستى للدعوة الإسلامية ، وتاريخ الديانات والشعوب ، وتاريخ الحضارات والفلسفات ، فى هذا الوقت القصير ،

أن هنالك فجوات أو ثغرات تحدث فى حياة الأمم وفى حياة المجتمعات ، قد حدثت فى حياة كل أمة وفى كل ديانة ، وإن لم يسجل تاريخها تسجيلا أمينًا مفصلا موثوقًا به ، ولكنه من طبيعة البشر ومن طبيعة الديانات ومن طبيعة المجتمعات البشرية .

وذلك لأن الإنسان حى نام ، صاحب شعور وصاحب عقلية ، وصاحب تجارب ، وصاحب أهواء وميول وشهوات، وصاحب غايات وأهداف ، يواجه معارضات وصراعًا نفسيًا ، وفى بعض الأوقات صراعًا سياسيًا وصراعًا اجتماعيًا ، وفى بعض الأوقات صراعًا خلقيًا ، فإنه لابد أن تحدث فى كل مجتمع ـ مهما بلغ من العلم الدينى ، والصلاح العلمى ، ومن الفضيلة الخلقية مكانًا ساميًا ـ لابد أن تحدث فى هذا المجتمع الحى النامى الذى يسعى على قدميه ، وينطق بلسانه ، والذى تحركه محركات داخلية وخارجية كثيرة ، قد تكون

مفروضة عليها ، وقد تنبع من داخلها ، لابد أن تحدث هناك فجوات أو ثغرات .

ولابد أن تملأ هذه الثغرات والفجوات ، تقتضى ذلك طبيعة الدين وحكمة حامليه وشارحيه ، وتقتضى ذلك الطبيعة البشرية ولايجوز أبدًا أن تغفل هذه الفجوات والثغرات ، ويقول الداعية والغيور على الدين : ما لنا ولهذه الفجوات والثغرات ، وما الحاجة إلى ملئها والاشتغال بها ؟ مادام الدين هو الدين الكامل ، هو الدين الذى يحتوى عليه كتاب الله العزيز ، والذى وصل عن طريق الحديث وعن طريق الفقه أو عن طريق البحوث العلمية ؟ .

لا أبدًا ـ إذا بقيت فجوة عميقة ، فجوة حقيقية يصح أن تسمى فجوة ـ فإنه يخشى على هذا المجتمع ـ مهما بلغ من الفضائل الخلقية والتمسك بالدين ـ يخشى عليه أن يتردى أو يهوى هذا المجتمع فى هذه الفجوة ، فهنالك فجوات وثغرات

تحدث، وهى تطلب أن تملأ وبتعبير أصح أن تردم .

وكذلك هنالك تشككات وتساؤلات قد تبلغ إلى حد التحديات ، تحد لصحة الدين، تحد لإمكان انطباقه فى هذا العصر ، تحد لإمكان العمل به ، تحد لإمكان القيام به قيامًا كاملا ، هذه التساؤلات (وبالأصح الاعتراضات والتشككات) تحدث فى حياة كل أمة ، وفى تاريخ كل ديانة ، وهى حدثت وستحدث ، وستستمر حادثة موجودة طارئة فى كل عصر ومصر، فهذه ثغرات وفجوات يجب أن تملأ ، وهذه تساؤلات وتحديات ، يجب أن يجاب عنها ، ويجب أن تقابل .

وهنالك معارضات كذلك وتناقضات يجب أن تستقبل بعقل واع ، وصبر واسع ، وحكمة عالية ، ونظرة ثاقبة ، هذه كلها من واجبات الدعاة .

وأضرب لكم بعض الأمثلة ، والوقت قصير ، لذا أشير عليكم من غير خجل ومن غير اعتذار ،

بأن تطالعوا كتابى : « رجال الفكر والدعوة فى الإسلام » فتمرون فى أثناء سياحتكم فى هذا الكتاب ــ الذى هو فى عدة أجزاء ــ بهذه الثغرات الزمنية التى حدثت فى تاريخ الإسلام ، وما يتصل بالدعوة الإسلامية .

أضرب لكم مثلا بالإمام الحسن البصرى رحمه الله ، فالإمام الحسن البصرى هو من كبار دعاة الإسلام قدر الله له زمانًا ــ وهو المقدر لما يشاء ومتى يشاء ــ كانت هنالك حكومة إسلامية ، بل وفقًا للمصطلح الجديد إمبراطورية قوية واسعة، ومجتمع إسلامى متنوع، وشريعة واضحة المعالم، واسعة التفاصيل ، وحديث محفوظ ، كل ذلك كان هنالك متوفرًا ، ولكن حدثت هنالك مرحلة جديدة كان يجب أن ينتبه لها، وإنها جديرة بأن تحدث فى كل زمان ومكان ، وهو وجود النفاق ، لم يكن هنالك نفاق عقيدة ، ولكن كان هنالك

نفاق خلقى وعملى، وهو وجود تناقض بين التعاليم الصحيحة الإسلامية التى جاءت فى القرآن، وجاءت فى الحديث النبوى ، المتواتر الصحيح ، تناقض بين السيرة الإسلامية المتينة الراسخة ، بين طلب الآخرة والسعى لها ، وإيثارها على المنافع الدنيوية ، والجهد فى سبيلها ، وبين انتهاز الفرص التى حدثت لوجود حكومات واسعة غنية ، ذات وسائل وإمكانيات متوفرة ، فقد انهزمت الإمبراطورية الرومية والإمبراطورية الساسانية (الفارسية) أمام الجيوش الإسلامية والغزو الإسلامى، واستولى المسلمون على هاتين الإمبراطوريتين، وكانت هنالك فرص سانحة ، فرص مغرية كل الإغراء لانتهاز هذه الفرص، لتبوء المناصب الرفيعة، وتملك وسائل الرفاهية والشرف بالتزلف إلى الحكام ومخالفة الضمير والمبدأ .

هذا ما أحدث تناقضًا وتفطن له الإمام الحسن

البصرى بما أوتى من فراسة إيمانية ، وعلم راسخ ونظر ثاقب، وبما كان من حظه إدراك عصر الصحابة ودراسة سيرتهم وأخلاقهم ، فهو قد وهب نفسه لمعارضة هذا التناقض الذى حدث فى المجتمع الإسلامى الإنسانى الناشئ ،المجتمع الإسلامى الغنى فى مواهب وفى طاقات ، وفى ذكاء وإمكانيات ، كان الواحد منهم يؤمن بالله كما هو بأسمائه وصفاته، ويؤمن بالرسل جميعًا ، ويؤمن بالآخرة ، ويؤمن بالتعاليم التى جاءت فى القرآن ، ولكن كان طموحه وما وهبه من ذكاء ومقدرة ، يغريه بأن ينتهز هذه الفرصة ، يذهب إلى الحاكم ويقول ما لا يرضاه دينه ،ويقول ما لا يتفق مع إيمانه وعقيدته ، ولكنه أراد أن ينتهز هذه الفرصة وينال كرامة أو منصبًا رفيعًا .

وهذا أحدث تناقضًا فى المجتمع الإسلامى ، وكان نفاقًا خلقيًا ، وقد جاء فى التاريخ أن هذا

أحدث ــ لما قام سيدنا الإمام الحسن البصرى لمحاربة هذا النفاق ، ولاستئصال شأفته والتغلب عليه ــ تساؤلا فى نفوس كثير من الناس ، قالوا : يا أبا سعيد ! هل اليوم نفاق ؟ لأنهم كانوا يعرفون أن النفاق قد مضى زمنه ، وهذا بحث علمى قد جاء فى كتاب « الفوز الكبير » للإمام الشيخ أحمد بن عبد الرحيم المشهور بولى الله الدهلوى ، هل النفاق داء مستمر ، وهل يمكن أن يوجد بعد عصر الرسول عليه الصلاة والسلام ؟ وشىء آخر أكثر حساسية ، هو أنه من الصعب بل من المحال تعيين المنافق ، فقيل لسيدنا الحسن البصرى رحمه الله هل اليوم نفاق ؟ قال : « لو خرجوا من أزقة البصرة لاستوحشتم فيها » هم فى عدد لا يستهان به فى المدن، ثم قيل له مرة ثانية ، قال : لو خرجوا لما انتصفتم من عدوكم ، يعنى هم الذين يكونون الجيش الإسلامى ، فإذا انسحبوا ولم يكن لهم

وجود ، لما استطعتم أن تقاوموا وتحاربوا عدوكم ، لأن قوتكم هى المستمدة من هؤلاء الذين يعيشون عيش تنعم ، وهؤلاء الذين يتصفون بالنفاق .

فعارض الإمام الحسن البصرى النفاق ، وركز عليه عنايته وبلاغته التى أكرمه الله بها ، ومن المقررات التاريخية الأدبية ، ومن المقررات فى التاريخ الأدبى ، أن كان هنالك بليغان لا ثالث لهما، أبلغ البلغاء الحسن البصرى ، والحجاج بن يوسف الثقفى ، ولكن يكاد المؤرخون للأدب يجمعون على أن الحسن البصرى أبلغ من الحجاج ، فوهب نفسه ووهب طاقاته وكل إمكانياته وقوة بيانه، وقدرة لسانه ، ووهب عنايته وإخلاصه لمحاربة هذا النفاق ولمحاربة هذا التناقض ــ الحادث فى المجتمع الإسلامى بحكم الطبيعة واتساع المملكة وتضخم الثروة ــ من ذلك تعرفون أنه كانت هنالك ثغرة حتى فى العهد القريب من البعثة النبوية ،

والرسالة السماوية .

وهنالك مثال آخر وهو ما حدث فى آخر القرن الثانى الهجرى ، وهى فتنة عقيدة خلق القرآن ، وهى العقيدة التى تزعمها المعتزلة الخاضعون للفلسفة الإغريقية فى قليل أو كثير، والتنور السطحى العاجل أو (العقلانية) ولهذه العقيدة لوازم فاسدة ونتائج معارضة لحقيقة إعجاز القرآن وكونه منزلا من الله لفظًا ومعنى (١) .

وقد احتضن الخليفة العباسى الكبير المأمون بن

---

(١) إن ما كان يقصد به الدعاة إلى هذه العقيدة ، ومعرفة مراميها وغوامضها صعب لضياع كثير من مصادر الاعتزال وكتب المعتزلة بعد خمود هذه الدعوة ، وانقراض عصر المعتزلة ، ولكن مما لاشك فيه أن هذه العقيدة كانت معارضة لعقيدة السواد الأعظم من المسلمين ، والصحابة والتابعين ، مضعفة لعقيدة إعجاز القرآن ، وكونه منزلا من الله بكلماته ومعانيه ، فإن الله يقول : ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف : ٢] واللغة لا تتخيل ولا تفهم إلا مركبة من كلمات وألفاظ معينة .

الرشيد هذه العقيدة وحماها حماية الحكام والملوك، وأصدر سنة ٢١٨هـ رسالة يأمر فيها بجمع القضاة وامتحانهم فى عقيدة خلق القرآن ، وعزل من لا يقول بذلك منهم ، وإسقاط شهادة من لا يراها من الشهود، وكانت محنة عقدتها وضخمتها حماية المملكة وحماس القائم عليها .

وهنالك قام لمعارضتها وللوقوف فى وجهها ، الإمام أحمد بن حنبل (١٦٤ ـ ٢٤١ هـ) وخاطر بنفسه وحياته ، وتركزت فيه رئاسة المعارضة ، فحبس ومكث فى السجن نحواً من ثلاثين شهراً، وفى أيام المعتصم خليفة المأمون ضرب بالسياط ، ضرب تسعة عشر سوطًا ، يقول السواط: لو ضرب فيل سوطًا واحدًا لصاح ، وهو يقول كل مرة :« ايتونى بشىء من كتاب الله وسنة نبيه حتى أقول به » وقد كان من ثبات ابن حنبل وصموده

وإخلاصه أن انطفأت عقيدة خلق القرآن حتى بقيت مدفونة فى كتب الملل والنحل وعلم الكلام ، وانهزمت حكومة هى من أقوى الحكومات وأوسعها فى عصرها ، حتى ذكر اسم الإمام أحمد بن حنبل مقتديًا بالصديق فى الثبات والصمود ، والقضاء على الخطر، فقيل « أبو بكر يوم الردة » و « أحمد بن حنبل يوم المحنة » .

ثم كان هنالك شخصية أخرى هى شخصية الإمام أبى الحسن الأشعرى (٢٧٠ ـ ٣٢٤ هـ) فقد قام بدور حاسم فى مقاومة الاعتزال وسلطانه ، فقد كان هذا الاعتزال قد أثر تأثيرًا عميقًا فى عقلية الشباب الواعى ، فكانوا « يتظرفون » بالانتساب إلى الفلسفة ومذهب المعتزلة، وأصبحت الفلسفة كما يقول الدكتور أحمد أمين « موضة» يتظرف بها الشباب ويتنبلون بها ، ويقول بعضهم:

أنا معتزلى افعلوا ما شئتم أنا معتزلى، وأصبح الاعتزال رمزًا وأمارة للذكاء والتعمق والعقلانية ، حتى فى العقائد والمسائل الشرعية ، فكان هذا خطرًا كبيرًا على الفهم الدينى الصحيح ، وعقيدة السلف المأثورة ، فوفق الله الإمام أبا الحسن الأشعرى فاعتزل مرة ثم خرج ، وهو مقتنع بصحة الشريعة الإسلامية عقيدة ، وشريعة ، وعقلا وعملا، مؤمنًا بها إيمانًا واعيًا ، ليس إيمانًا عاطفيًا فقط ، فصار يفحم المعتزلة ويقنع الشباب المتأثرين بعض الأثر أو كل التأثر بالفكر المعتزلى الفلسفى ، فكان يجيبهم كما يجيب معلم حاذق كبير أطفالاً صغارًا ، وتلاميذ أحداثًا ، فكان يجتمع هناك عدد كبير من المتأثرين بالاعتزال ، ويقول : ياسيدى أجب عن كذا ، يامولانا ماذا تقول فى هذا ؟ ياسيدى ما المسألة الفلانية ؟ فكان يسمع كل هذا ، وكان الناس يتعجبون كيف يحفظ الإمام أبو الحسن

الأشعرى هذه الآراء ، وبعد ذلك يبدأ يناقشهم ويردهم واحداً بعد واحد ، أما فلان فقد قال كذا وأقول هذا ليس بصحيح ، وأنه شيء مفروض ، وشيء غير عقلى ، وقال الثانى كذا ، وقال الثالث كذا ، والرابع كذا، يعنى كان الناس يتصورون أنه رجل ملهم ، كيف استطاع أن يحفظ هذه الآراء الشاذة المنتشرة المبعثرة التى لا تناسب ولا التئام فيها، كيف حفظ هذا ثم يرد على كل كما يرد شاب أو رجل كهل ، مكتمل الشباب على أطفال صغار ، وهذا كان من تقدير الله تعالى ، وبدأ الاعتزال يفقد تأثيره وسلطته ونفوذه ، والنفوذ شيء خطر جداً ، إذا كان لفلسفة نفوذ ، وكان له إجلال وأثر فى أعماق النفس ، فهو خطر على الدين السماوى المنزل من الله ، ويسير بالعقل الإسلامى والفكر الإسلامى إلى اتجاه غير سليم ، إلى اتجاه غير شرعى ، وغير نبوى .

هذا كان من تقدير الله تعالى ، فقد فَقَد الاعتزال وجاهته ، وأنا تحريت هذه الكلمة بصفة خاصة ، فقد الاعتزال وجاهته العقلية ، والوزن العقلى ، فإذا لم يكن فيه وزن عقلى ، فما قيمته ؟ كل قيمته أنها عميقة ، وأنها مؤسسة على الدراسات، وأنها تلائم العقل ، وترضى العقل وتسليه ، فإذا فقدت هذه الفلسفة هذه القيمة فقدت كل شيء ، أصبحت مفلسة لا قيمة لها ولا جاذبية لها .

وكذلك شأن حجة الإسلام الإمام الغزالى فى عصره ، والعلامة ابن الجوزى فى عصره ، والإمام عبد القادر الجيلى (الكيلانى) فى عصره، وشيخ الإسلام الحافظ ابن تيمية فى عصره ، ومولانا جلال الدين الرومى فى عصره ، أما المجددون للإسلام والداعون إلى الله والدين الصحيح ،

والمقاومون للتحديات والأخطار على بقاء الإسلام فى شبه القارة الهندية ، والمانعون من تحولها إلى الوثنية البرهمية والحضارة الهندية الجاهلية ، والناشرون للكتاب والسنة ، والاشتغال بالحديث ، فيمكنكم أن تقرأوا قصة كفاحهم وجهودهم ، وغيرتهم على الدين الأصيل المحفوظ ، ومدى نجاحهم فى جهدهم وجهادهم فى كتابنا : « رجال الفكر والدعوة فى الإسلام » الجزء الثالث ، والجزء الرابع .

فالقضية يا إخوانى هى: ملؤ الفجوة الواقعة فى الفكر الإسلامى ، أو فى المجتمع الإسلامى ومواجهة التحدى ، فملؤ الثغرة وملؤ الفجوة ، ومواجهة الخطر الذى حدث ويحدث بالوجود الإسلامى أو بالشريعة الإسلامية واجب ومحتم .

وأقول لكم: القضية ليست قضية دعوة جديدة ،

القضية : التركيز على جانب خاص ، وقضية الضغط على جانب خاص ، والتضلع بمسئولية خاصة ، فليس هنالك تعارض أبدًا ، إن الدعوة هى الدعوة الإسلامية ، الدعوة النبوية ، الدعوة إلى العقيدة الصحيحة ، المقبولة عند الله تعالى ، مهما تباعد الزمان ومهما تضخمت المشاكل ومهما اتسع المجتمع ، ومهما تغيرت مطالب الزمان ، الدعوة هى الدعوة ، ولكن الشىء الذى أريد أن ألفت إليه أنظاركم ، هو التركيز على جانب خاص، والضغط عليه ووهب الطاقات ، ووهب الإمكانيات ، ووهب القوة الإرادية التى يهبها الله كل إنسان ، لمواجهة هذا الخطر ، ولملء هذا الفراغ، ولإزالة هذا التحدى .

فما هو الجانب المحدد ؟ المعين الرئيسى فى هذا الزمان ؟ ما هو الواقع المحدد الآن فى البلاد

الإسلامية ؟ هو موضوع حديثى اليوم .

إنها إعادة الثقة فى نفوس الطبقة المثقفة بصلاحية الإسلام ، ليست بصلاحية الإسلام فقط ، بل بصلاحيته للقيادة وحل المشاكل ، ولصياغة المجتمع صياغة سليمة عصرية جديدة صحيحة فالجانب الذى أريد أن أركز عليه اهتمامكم الآن ، وأركز عليه طاقتكم وإمكانياتكم ، وذكاءكم و مجهودكم فى بلادكم ، إذا رجعتم بسلامة الله تعالى ، هو إعادة الثقة بصلاحية الإسلام فى الطبقة المثقفة ، لأن هذه الطبقة المثقفة قد ضعفت الثقة بصلاحية الإسلام فيها أو فقدت تمامًا ، لأن النظام الدعوى التربوى العصرى الغربى نجح فى ذلك نجاحًا ، تسعين فى المائة تقريبًا ، أو تسعًا وتسعين فى المائة ، فإن الطبقة المثقفة التى تخرجت من الكليات والجامعات، أو رجعت من الغرب بعد الدراسة ، أو تخرجت من

جامعاتها الكبيرة ، لا أقول : إنها ضعفت فيها الثقة، بل هى فقدت ثقتها تمامًا بصلاحية الإسلام ، فالآن القضية الرئيسية المركزية عندهم هى إزالة هذه الثقة عن نفوس الشعب ، والتحرر من ربقة الإسلام ومن قيوده الشرعية والخلقية والتشريعية ، والقانونية والمدنية .

هذه هى الحرب الحقيقية السافرة التى توجد الآن فى البلاد الإسلامية ، ما هى الحرب ؟ أقول لكم بكل صراحة وعلى بصيرة وعن تجربة واختبار ، إنه لا حرب فى بلد إسلامى بين الإسلام والصهيونية ، لا حرب بين الإسلام والصليبية ، ولا حرب بين الإسلام والنفوذ الغربى ، لا حرب بين الإسلام وفساد الأخلاق ، هى حرب واحدة ، هى حرب بين الطبقة المثقفة الرئيسية التى تملك زمام الحكم وبين الزعماء ، وبين الجمهور والشعب لإزالة هذه الثقة

بصلاحية الإسلام ، إنهم يقولون بلسان الحال، نعم الإسلام كان دينًا مثل دورًا ، دورًا محمودًا جزاه الله خيرًا ، جزى الله القائمين به ، إنه رد على الوثنية السافرة ، وإنه أزال وأد البنات ، وإنه أعطى النساء بعض الحقوق ، وإنه أزال بعض المنكرات وبعض العيوب الخلقية ، وبعض الذمائم من المجتمع العربى، ولكن الإسلام قد مضى زمنه، فقد وقف وتقدم الزمان ، إنما هى قضية القيادة وقضية الصياغة للحضارة والقانون وأن يتصرف ويتحكم فى حياة الإنسان ، ويقول : هذا حرام وهذا حلال ، وهذا معروف وهذا منكر ، هذا دين وهذا لا دين ، لا . . . لا نسمح بذلك ، الإسلام قد قضى دوره ، الإسلام قد انتهى أجله ، إنه قام بدور محمود فى التاريخ ، إنه قام بعملية إصلاحية محدودة فى جزيرة العرب وخارج الجزيرة، ولكن الآن فى هذا العصر المتمدن الراقى الذى يطير الإنسان فيه فى الهواء ،

ويسير فى البحر ، والذى وصل إلى القمر ، وركز الراية على القمر، إن الإسلام لا يستطيع أن يسايره، ويقوده ، ويحل مشاكله .

فأنتم يا إخوانى ! أقول لكم الآن بصراحة وبتركيز ، أنتم فى القضية الرئيسية الكبرى التى تواجهونها ، بل هى تفرض عليكم فرضًا رضيتم أم لم ترضوا ، هى قصة صلاحية الإسلام للبقاء ، وصلاحيته لقيادة البشرية ، وصلاحيته للسيطرة على المجتمع ، هذه القضية ستواجهونها إذا رجعتم إلى بلادكم ، ولابد لمواجهة هذا التحدى وهذا الخطر ، لابد له من دراسات عميقة متنوعة تدرسونها فى تاريخ الحضارة الغربية ، والفلسفة الغربية ، أو تاريخ إيران وروما ، وماذا خسرت الإنسانية بها ؟ وما هى رسالتها للإنسانية ؟ وما هى عطاياها ؟ فعليكم أن تطالعوا بعض الكتب التى قد عالجت

هذا الموضوع ، وأقول لكم ، ومعذرة إليكم من ضميرى ونفسى ، لابد أن تطالعوا بعض الكتب التى وفق الله لتأليفها فى هذه البيئة المحدودة الصغيرة هنا ، أنا أحمد الله تعالى ، بل هذا توفيق من الله تعالى فقط ، ولا يرجع الفضل إلى أحد أبدًا ــ حاشا وكلا ــ ولكن « ندوة العلماء » أقول لكم بصفة خاصة ، إنما قامت لذلك .

وأنتهز هذه الفرصة للفت النظر إلى هذا ، إن البلاد كانت غنية زاخرة بالمدارس العربية الدينية ، ما كان هنالك فراغ أبدًا ، لا أسمى هذه المدارس احترامًا لها ، كانت البلاد زاخرة بالمدارس العربية الدينية ، كانت البلاد زاخرة بالمكتبات العظيمة الغنية، كانت البلاد زاخرة بوجود العلماء ، وبوجود العلماء الكبار المدققين المتوسعين فى الفقه وأصول الفقه وفى الحديث ، وفى التفسير ، وفى

العلوم الدينية ، ولكن كان هنالك ثغر ، ما هو هذا الثغر ؟ هو كيف تخاطب المتخرج من الجامعة والكلية ، والمتعلم فى بيئة غربية ؟ بأى لسان تخاطبهم ؟ وما هى الوسائل التى تستخدمها ؟ ما هو السلاح الذى يستطيع الداعية أن يقاوم أو يحارب به ، ويدافع عن دينه، وعن ضميره وعن شريعته ؟ لذلك قامت ندوة العلماء، وأنا أعتذر إذا قلت إنه كانت هنالك حاجة لظهورها مع وجود هذه المدارس والجامعات الكثيرة ، التى كانت حظيت بتقدير من الجماهير المسلمة هنا ، وإذا كانت لندوة العلماء قيمة، فإن هذه القيمة هى أن تنتج شبابًا يستطيعون أن يستردوا القيادة الفكرية من الطبقة المثقفة الناشئة فى الجامعات المدنية الغربية ، أو فى الكليات المدنية الغربية الواقعة فى البيئة الغربية ، رضعت بلبانها ونشأت فى أحضانها تنتزع القيادة الفكرية من هؤلاء وتردها إلى الراسخين فى العلم

المطمئنين ، المقتنعين ، المنشرحة صدورهم ، والواعية عقولهم لفهم الدين الإسلامى ، يؤمنون هؤلاء بأبدية الإسلام وبصلاحية الإسلام للبقاء فى كل عصر ومصر كقائد موجه وداع ، وبأن الشريعة الإسلامية متكفلة بالسعادات الدنيوية والأخروية صالحة لكل زمان ومكان ، وهى أفضل وأجدر بحل المشكلات العائلية والاجتماعية والتشريعية من كل قانون وتشريع إنسانى علمانى .

فأنتم يا إخوانى ! لابد أن تستعدوا لهذه المعركة، هذه المعركة التى تنتظركم بصبر نافذ ، لا أستطيع أن أقول إن آباءكم ينتظرون قدومكم بهذا الجزع أو بهذه الرغبة أم هذه المعركة تنتظركم ، وأنا أميل إلى أن هذه المعركة تنتظركم أكثر مما ينتظركم أباؤكم وإخوانكم الذين فارقوكم والذين ودعوكم إلى هذه البلاد ، وحرموا لقاءكم والحديث معكم

والأكل معكم هذه المدة الطويلة ، لا . . . هذه هى المعركة الحامية الحاسمة ، هذه المعركة الإلحادية ، هذه المعركة العلمانية، هذه المعركة المعادية للإسلام، والمعادية لكل الأديان ، هذه المعركة تنتظركم.

فلا بد أن تستعدوا لها قبل أن تبتلوا بها وقبل أن تواجهوها وجهًا بوجه ، والاستعداد يمكن هنا ، فلابد أن تقرأوا الكتب التى ألفت ، ومعذرتى إلى نفسى قبل معذرتى إلى غيرى، لابد أن تقرأوا كتاب: « الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية فى الأقطار الإسلامية » وكتاب « نحو التربية الإسلامية الحرة » وكتاب : « إلى الإسلام من جديد» ولابد أن تقرأوا كتاب : « ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين؟ » ومن غير مؤلفات علماء الندوة ــ بما أنا فيه ــ كتاب: «الإسلام على مفترق الطرق» و«الطريق إلى مكة » للأستاذ محمد أسد المهتدى

(ليوبو لدويس سابقًا) وكتب الأستاذ سيد قطب رحمه الله، والأستاذ أبى الأعلى المودودى فى نقد الحضارة الغربية ، وبيان الحاجة إلى الإسلام ، وقبل ذلك كتاب أستاذنا وأستاذ الجيل الإسلامى المعاصر، العلامة السيد سليمان الندوى « الرسالة المحمدية » و « السيرة النبوية » .

وكذلك تدرسون شعر إقبال ، لا أقول أن تقرأوا محاضراته ، لأننى لا أوافق على بعض ما جاء فى هذه المحاضرات مائة فى المائة فى صراحة ، وأشرت إلى ذلك فى مقدمة « روائع إقبال » ولكن لابد أن تقرأوا شعره وأن تتذوقوه ، وأقول لكم إن هذا يثير فيكم الذكاء والتذوق ، ويثير فيكم حماسًا إسلاميًا قويًا ، فتكونون بذلك على مستوى رفيع وعلى صعيد صاعد عال من الثقة بالإسلام ومن القدرة على إقناع المتعلمين الدارسين الجامعيين .

يا إخوانى ويا أبنائى :

إن الزمان لا يتسامح والأعداء لايتسامحون أبدًا، إنهم قد شمروا أذيالهم ، وإنهم قد أعدوا نفوسهم وهم واقفون بالمرصاد ، يعدون الساعات عدًا ، بل يعدون الدقائق عدًا ، لترجعوا إلى بلادكم ، فيزاحموكم أو يصارعوكم ويبدوا لشعبهم أن هؤلاء رجال أميون ، إنهم أبناء جيل ماض ، وإنهم أبناء جيل القرن التاسع عشر المسيحى ، أو قبل هذا ، فهم يغيرون عليكم عن طريق العلم وعن طريق الدراسة والصحافة والإذاعة ، وعن طريق الندوات العلمية والمحاضرات الجامعية ، فعليكم أن تستعدوا لهذه المعركة هنا ، المعركة الحامية الدامية ، وهى معركة بين من يعتقد أن الإسلام هو دين خالد، وهو دين البشرية إلى يوم القيامة ، أنه الدين الكامل لسعادة البشرية حياة وموتًا ، وخلقًا واجتماعيًا ،

وتشريعًا وعبادة ، وحكمًا وسيادة ، ومن يعتقد ويؤمن ويعلن بأعلى صوته أن الإسلام قد مضى زمنه، وأنه لا محل له الآن فى هذا العصر الراقى ، فى هذا المجتمع المتعقد المواجه لمشكلات تحدث كل يوم ولابد أن تستعدوا هنا ، وأنتم متفاوتون فى الفرصة بعضكم لهم فرصة قليلة وبعضكم لهم فرصة واسعة ، فعلى كل يجب عليكم أن تستعدوا للعودة إلى بلادكم قبل الخوض فى هذه المعركة ، فلا تعودا إلى بلادكم إلا وأنتم تتسلحون بالسلاح الإيمانى العلمى العقلى العصرى، بسلاح أقوى لم يخلق أقوى منه ، ولا يمكن أن يخلق أقوى منه، ولابد من السلاح مهما كان الإنسان قويًا وغنيًا ، لابد من أن يتسلح بسلاح العلم لمواجهة الجيل المثقف .

ولابد أن تحاربوا مركب النقص فى هذه الطبقة

المثقفة الثقافة الحديثة ، المصابة بمركب النقص فيما يتصل بالإسلام ، وبالشريعة الإسلامية .

هم مبتلون بمركب النقص فى كل ما يسمعونه عن الإسلام ، أو يقرأونه عن الإسلام ، ويقولون هذه قصة الزمن الماضى ، هذه حكاية للزمن الماضى، لا قيمة له فى هذا العصر ، وهم عازمون على الإبادة المعنوية العقائدية للجمهور ، عن طريق التعليم والتأليف والصحف والمجلات والإذاعة والندوات .

هذا هو الواقع الذى ينتظركم يا إخوانى !

وأسأل الله تعالى أن يوفقكم للقيام بهذا الواجب ، وللوفاء بحق الإسلام ، وللوفاء بحق العبودية ، وللوفاء بحق الضمير السليم المسلم ، وللوفاء بالنسبة إلى الإسلام ، وإن الله تعالى قد أنعم عليكم بنعمة الإسلام ، فلابد أن تقدروا هذه

النعمة وأن تكافحوا كل ما يهاجم ، وكل ما يعارض ، وكل ما يتحدى الإسلام بكل قوة ، وبكل وضوح ، وبكل ذكاء ، وبكل استعداد ، وبكل تسلح .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

١١/ محرم الحرام ١٤١٣هـ

رقم الإيداع : ١١٠٤٠ / ١٩٩٧م

الترقيم الدولي
I.S.B.N. 977-5826-32-2



مطابع دار الطباعة والنشر الإسلامية

العاشر من رمضان المنطقة الصناعية ب ٢ - تليفاكس : ٣٦٣٣١٤ - ٣٦٢٣١٣

مكتب القاهرة : مدينة نصر ١٢ ش ابن هانيء الأندلسي ت : ٤٠٣٨١٣٧ - تليفاكس : ٤٠١٧٠٥٣